الحكومة الانجليزية وكفاحها ضد الفقر

للأستاذ سلامة موسى

الفقر من الكوارث التي تناس حضارة الأمة بمقدار قدرتها على مكافحتها . إذ هو الأصل في كثير من الأمراض ، كما هو الأصل في الجريمة أو في معظم الجرائم . وكذلك هو الأصل في تفشي الجهل والاستسلام للخرافات .

وما دام في الأمة عدد كبير من الأسر الفقيرة فإن المرض يتوطن فيها لعجز هذه الأسر عن النظافة ، وعن شراء الطعام المغذي ، وعن اقتناء اللباس الصحي ، وعن السكنى في منازل صحية . بل إن هذه الأسر لضعفها المالي تتجمع في أحياء حقيرة فتكون منها بؤر للأمراض التي يعجز الجسم عن مقاومتها لأنه جائع واهن .

وهذا الفقر يؤدي إلى الجريمة ، لا لطلب القوت فقط ، وإن كان هذا ليس بالأمر الصغير ، بل لأن حياة الفقير تخلو بالفقر من كل مغزى . فهو محروم من المباهج ومن المعرفة ومن المشاغل الحية المفيدة . وهو ضائق ببيئته وبنفسه ، وسرعان ما يلجأ الى العنف ان لم يكن ليسد حاجة هو محروم منها فلكي يهدئ أعصابه المتوترة من أثر الحرمان والضيق .

وهذا الفقر سبب للجهل . لأن الذي يعجز عن شراء الحاجات الأولية من طعام أو لباس هو أعجز عن شراء الوسائل الثقافية سواء لنفسه أو لأبنائه . والفقير لا يبالي أن يستغل ابنه صبيا أو شابا لأنه في حاجة إلى أن يكسب منه . وهو يعارض في تعليمه ويتهرب منه بغية استخدامه . فبيئة الفقر هي بيئة التعس والشقاء تنمو فيها الجريمة وينمو المرض والجهل . ولا حق لأمة أن تسمى نفسها متمدنة ما لم تكافح الفقر بكل ما في مقدورها .

والانجليز — أمة وحكومة — يكافحون الفقر ويجعلون من هذه المكافحة مذهبا يؤمن به الجميع ، وهم ينظرون إلى الفقر كما لو كان وباء يجب أن يحاط ويحصر وتبحث أسبابه وتعالج أصوله وأعراضه . والمجهود الذي يطلب من الأمة هنا عظيم جدا . فان بيوت برناردو التي تؤوي المحرومين من الصبيان تنتشر في أنحاء البلاد كأنها واحات الرحمة والرفق بالطفولة . والمستشفيات التي يؤسسها القادرون من أفراد الشعب تفضل جميع ما صنعته الحكومة الانجليزية نفسها . والتضامن

بين الفقراء أو من يخشون الفقر وهم على حافته فى تأليف ما يسمى "جمعيات الصداقة" هو درس بليغ فى مكافحة الفقر . ولست هنا بصدد سرد التبرعات العظيمة التى أرصدت للخير فى بريطانيا ، فان كثرتها تحول دون حصرها وعدها ، ولكنى أقصر الحديث على ماتقوم به الحكومة الانجليزية فى مكافحة الفقر . ففى عام ١٦٠١ أى منذ ٣٤٠ سنة تقريبا نجد البرلمان يسن قانونا اصطلح على تسميته "قانون الفقراء" ينص على أنه يجب على كل قرية أن تعنى بالمسنين والعجزة ، وأن تعولهم وتؤويهم . كما يجب عليها أن تجد العمل للقادرين عليه من الفقراء ، وأن تعلم الصبيان بالحاقهم بالصناعات المختلفة لكى يتعلموا و يكتسبوا . ثم نجد بعد ذلك بسنوات أن هذا قد أثمر مؤسسة تسمى " بيت العمل Workhouse " فى كل قرية أو حى من مدينة . ثم صار من حق كل انجليزى محروم أن يدخل هذا البيت حيث يستحم أولا و يغير ملابسه ، ثم يعمل أى عمل تحتاج اليه القرية . ويقسم اللاجئون إلى بيت العمل فئات من حيث الجنس والسن والقدرة على العمل أو العجز عنه . وأنشئت فى كل قرية هيئة تسمى "الأوصياء على الفقراء Guardians of the Poor" تفرض الضرائب على السكان وتنفق منها على بيوت الفقراء التى تعتبر ملاجئ عامة ، ولكن الشاب القادر كان يدخلها أيضا و يعمل بطعامه ومأواه لا ينقد بنسا على عمله . أما العاجز فلا يكلف بالطبع عملا .

و بيوت الفقراء هذه هى أول المؤسسات الاجتماعية المدنية للبر بالمحروم والمتعطل والعاجز ، وقد قامت بخدمة الفقراء فى انجلترا واسكوتلاندا أجل الخدمة ، وخاصة فى أوقات الشدائد والأزمات . فقبل نحو مائة سنة تقريبا أصابت الجزر البريطانية أزمة عاتية فشا فيها التعطل وضاق الناس بمعاشهم . وتثبت سجلات "بيوت الفقراء" فى تلك السنين أن من كل ثمانية سكان فى لندن كان واحد يعيش فى هذه البيوت أو يتناول المساعدة الخارجية منها ، وقد بقيت هذه البيوت حتى عهد قريب وهى وسيلة البر الوحيدة التى تقوم بها الدولة نحو فقرائها . ولكن حدث حوالى سنة ١٩١٠ أن شرع المستر لويد جورج فى الأخذ بأساليب التأمين الاجتماعى وابتدأ بايجاد معاشات الشيخوخة . ويراد بعبارة "التأمين الاجتماعى" مساعدة المسنين الذين يبلغون الستين أو الخامسة والستين ومساعدة المتعطلين والمرضى من العمال بمنحهم أجورا أسبوعية طول مدة التعطل أو المرض ، وأيضا مساعدة العاملات الحوامل قبيل الوضع و بعده . وقد سبق الشعب الانجليزى حكومته فى هذه التأمينات المختلفة بما كان ولا يزال لديه من " جمعيات الصداقة Friendly Soeieties " وأيضا بما قامت به نقابات العمال . ونحن نذكر هنا ملخصا لأغراض هذه التأمينات :

١ — يمنح معاش الشيخوخة لمن بلغ الخامسة والستين من الجنسين . ولكن إذا كان أعمى فانه يمنحه من سن الأربعين . ويتفاوت مقدار المعاش من شلن إلى نصف جنيه فى الأسبوع . فاذا كان المسن يحصل على إيراد سنوى خاص لايزيد على ٢٦ جنيها وه شلنات ، إنه

يعطى نصف جنيه معاشا أسبوعيا . و إذا كان إيراده السنوى الخاص يبلغ نحو خمسين جنيها فان معاشه الأسبوعى لا يزيد على خمسة قروش، فقيمة المعاش يحسب لتقديرها ايراد المسن الخاص . وهكذا كلما كثر الايراد قل المعاش والعكس بالعكس . ومن هذا التقدير يمكن أن يقال إن الرجل المسن والمرأة المسنة قد ضمن لهما دخل (أى مجموع الايراد الخاص والمعاش الحكومى) مقداره جنيه كل أسبوع على الأقل .

وبعض أقطار المستعمرات البريطانية المستقلة — مثل زيلندا الجديدة — تعطى هذا المعاش عند الستين . وهذا النظام قد جعل تسوّل المسنين الذى يرى فى كثير من أقطار العالم غير معروف بتاتا فى الجزر البريطانية . ولقد لوحظ منذ أن أخذت الحكومة البريطانية بهذا النظام أن قيمة "بيوت الفقراء" تضاءلت لأن تسعة أعشار الذين كانوا يعمرون هذه البيوت كانوا من المسنين .

٢ — وتأمين آخر هو التأمين ضد التعطل . وهو يعطى لكل عامل أو عاملة متعطلة يتراوح عمر كل منهما بين ١٤ و ٦٥ سنة . ويعطى أيضا لغير العمال من المستخدمين المتعطلين الذين كانت مرتباتهم تقل عن ٢٥٠ جنيها فى العام . ولكن الإعانة التى تؤدى عن التعطل يجب أن يسبقها اشتراك العامل مدة معينة من الزمن (وقت عمله بالطبع) فى دفع جزء من أجرته يضم إليها جزء آخر من صاحب المصنع ومن الحكومة ، ويتجمع من كل هؤلاء المال المرصد لإعانات التعطل، ولكن ما يدفعه العامل ليس عظيما، فان عامل الزراعة يؤدى ١٢ مليما فى الأسبوع . وعامل المصنع يؤدى ٣٦ مليما فى الأسبوع . هذا إذا كانت سن العامل أو العاملة تتراوح بين ٢١ و ٦٥ سنة . فاذا نقصت السن كان ما يطلب من العامل دفعه أقل . وعندما يأخذ العامل معاش الشيخوخة تنقطع عنه إعانة التعطل .

أما مقدار هذه الاعانة فيختلف أولا بين عامل الريف وعامل المدينة .لأن الثانى يأخذ أكثر من الأول . كما أنه يدفع أكثر منه فى وقت عمله، ثم إن الرجل يأخذ أكثر من المرأة كما أنه فى وقت عمله يدفع أكثر منها . فالرجل فى الحادية والعشرين أو أكثر يحصل على إعانة قدرها ١٥ شلنا فى الأسبوع اذا كان يعمل فى الزراعة . و إعانة قدرها ١٧ شلنا اذا كان يعمل فى غير الزراعة . والمرأة فى الحادية والعشرين أو أكثر تحصل على ١٣ شلنا فى الأسبوع اذا كانت تعمل فى الزراعة أو ١٥ شلنا إذا كانت تعمل فى غير الزراعة . فاذا كان هؤلاء المتعطلون متزوجين حصلوا فوق ذلك على إعانة العيال وهى ٩ شلنات لكل بالغ و ٣ شلنات لكل طفل فى الزراعة و ١٠ شلنات لكل بالغ و ٣ شلنات لكل طفل فى غير الزراعة بشرط ألا يزيد ما يحصل عليه المتعطل وعياله على ٣٣ شلنا كل أسبوع أى نحو ١٦٠ قرشا لكل أسبوع . ولما تفاقمت الأزمة فيما بين عامى ١٩٣٠ و ١٩٣٣ كانت إعانات المتعطلين عبئا

ثقيلا . لأن هؤلاء المتعطلين كانوا يبلغون أحيانا ثلاثة أو أربعة ملايين متعطل . ولكن الحرب الحاضرة بما احتاجت اليه من تنشيط الصناعات الحربية جعلت هذا العدد صغيرا .

٣ — ذكرنا الآن إعانة الشيخوخة وإعانة التعطل . والآن نذكر إعانة المرض : فالمستشفيات كثيرة جدا فى الجزر البريطانية . ولكن إذا ذهب العامل إلى المستشفى فمن يعول أهله ؟ أو قد يحتاج هو إلى العلاج دون أن يضطر إلى ترك منزله . فهو مريض متعطل عليه أن يعول نفسه وزوجته وأولاده . والتأمين الصحى هو من أعظم المخترعات الاجتماعية فى بريطانيا ، لأنه كفاح للمرض والفقر وما يجلبانه على المصاب بهما من ألوان الشقاء ، والعامل الذى يؤمن نفسه من المرض يجب أن يدفع كل أسبوع ٨ مليمات ، يدفع مثلها صاحب العمل . فاذا كانت سنه دون السادسة عشرة لم يدفع سوى ستة مليمات يدفع مثلها صاحب العمل الى أن يتجاوز هذه السن . أما ما يجنيه العامل أو العاملة من هذا التأمين فهو :

١ — اذا كان المدفوع يزيد على ٢٦ دفعة ويقل عن ١٠٤ دفعات أسبوعية يحصل العامل وقت المرض على ٩ شلنات فى الأسبوع ، والعاملة ٧ شلنات ونصف شلن . و إذا كان المدفوع يزيد على ١٠٤ دفعات أسبوعية يحصل العامل وقت المرض على ١٥ شلنا والعاملة على ١٢ شلنا فى الأسبوع .

٢ — اذا كان العامل مؤمنا ولكن زوجته ليست مؤمنة حصل لزوجته وقت الوضع على جنيهين . فاذا كانت الزوجة مؤمنة أيضا صار المبلغ أربعة جنيهات .

٣ — يعالج العامل طول مدة مرضه بالمجان على يد الطبيب الذى يختاره هو من قائمة تحتوى عددا كبيرا من أطباء التأمين .

٤ — إذا مات العامل المؤمن حصلت أرملته على ١٠ شلنات كل أسبوع . وعلى ٥ شلنات للولد الأول و٣ شلنات لكل ولد يليه دون الرابعة عشرة بشرط ألا يقل عدد دفعاته الأسبوعية عن ١٠٤ .

هذه هى أنواع التأمين ضد الشيخوخة والتعطل والمرض . وكلمة المرض هنا ينطوى التأمين فيها على تأمين الزوجة والأولاد بعد وفاة العامل .

ومن هذه الخلاصة تتضح لنا الطريقة التى تكافح بها الحكومة البريطانية الفقر ، إذ متى أمن الانسان الحرمان الذى ينشأ من الشيخوخة أو المرض أو التعطل أو الوفاة فقد أمن الفقر . وما ينفق على هذه التأمينات يبلغ بضع مئات من الملايين من الجنيهات . فمن أين تأتى بها الحكومة البريطانية ؟

قبل كل شىء يجب أن نذكر أن الأمة الانجليزية أمة صناعية قد توغل فيها النظام الصناعى . وجميع الأمم الصناعية أمم غنية . وحسبنا أن نعرف أن ميزانية الحكومة البريطانية

لا تقل فى أيام السلم عن ٧٠٠ أو ٨٠٠ مليون جنيه . والحكومة تجمع هذا المبلغ من ضرائب مختلفة ، ربما كان أهمها ضريبة الدخل التى تبلغ نحو ٤٠٠ مليون جنيه . وهـذه الضرائب خفيفـة على أصحاب الدخل الصغير ، ثقيلة على أصحاب الدخل الكبير . فمن كان دخله ٢٠٠ جنيه فى السنة يكاد لا يدفع شيئا من الضرائب ، فاذا كان ١٥٠ ألف جنيه دفع ضريبة قدرها ١٢٠ ألفا ، ولم يبق له من دخله سوى ثلاثين ألفا . وبين هذين المبلغين تتدرج الضريبة كما أنها تختلف بين الأعزب والمتزوج ومن له أولاد ومن ليس له أولاد . والحكومة البريطانية هى التى اخترعت هذه الضريبة منذ أيام الحروب النابليونية أى قبل نحو ١٣٠ سنة .

والبيئة الصناعية هى التى أوجدت هذه التأمينات لمكافحة الفقر . فقد بقيت الحكومة البريطانية قانعة بما يسمى "بيوت الفقراء" أكثر من ٣٠٠ سـنة أى منذ ١٦٠١ الى حوالى ١٩١٠ ، ولكنها عندما رأت التعطل يزداد بحكم البيئة الصناعية الجديدة أخذت فى اصطناع هذه الأنظمة التأمينية . ذلك أن النظام الصناعى يفاجئ الأمم بنوبات من الرواج والكساد . وانتاج المصانع يزيد أحيانا على حاجة الأسواق ، أى يزيد على قدرة الجمهور فى الاستهلاك فتضطر المصانع إلى اقفال أبوابها بضعة أسابيع أو أشهر يتعطل فيها العمال . وليس العامل مشهورا بتبصره حتى ننتظر منه التدبير والادخار للمستقبل . وقد كانت النقابات تقوم بشىء من هـذه التأمينات كما كانت تفعل مثل ذلك "جمعيات الصداقة" ولكن الحكومات المتمدنة رأت أن الامن العام والطمأنينة الاجتماعية يطالبانها بتأمين العمال فاكرهت أصحاب العمل سواء أكان هذا العمل زراعيا أم صناعيا على الاشتراك فى ذلك التأمين . وقد ذكرنا هنا مثالا مما تفعله الحكومة البريطانية ، ولكن قل أن تخلو أمة متمدنة من مثل هذا التأمين ، وخاصة إذا كانت أمة صناعية تعتمد فى معاشها على نشاط المصانع . ولكن البيئة الزراعية — وخاصة حيث تسير الزراعة على أساليبها القديمة بدون الاعتماد على الالات البخارية أو التى تدار بالمحركات الكهربائية — لا تحدث فى الأمة تلك المفاجآت التى نراها فى الأمم الصناعية .

والعالم فى عصرنا الحاضر يكاد ينقسم الى قسمين أحدهما مؤلف من الأمم الزراعية الفقيرة الضعيفة ، والآخر مؤلف من الأمم الصناعية الغنية القوية .

والأمم الزراعية مطمئنة بل تكاد تكون راكدة فى اطمئنانها وفقرها . فى حين أن الأمم الصناعية مع غناها وقوتها تعيش فى خطر ، خطر التعطل والمرض والشيخوخة وإذا كان التأمين يعد من الكماليات أو المثليات عند الأمم الزراعية فانه ضرورة حتمية للامم الصناعية . ولذلك لا نستطيع أن نصف هـذه التأمينات المختلفة فى مثل بريطانيا أو غيرها من الأمم الصناعية بأنها بر و إحسان ، لأن الواقع أنها جميعا نظام حتمته ظروف البيئة الصناعية .

سلامه موسى